الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص:لسانيات عربية

المـــــوضـــوع:

الإعجاز في القرآن الكريم - كتاب الإنتصار للقرآن لأبي بكر الباقلاني

إعداد الطالب : غالم عبد القادر

إشـــراف الأستاذة: إيمان بلقاسم

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	حسين فارسي	رئيسا
أ.الدكتور	أحمد إبراهيم الزبير	ممتحنا
أ.الدكتورة	إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم	مشرفا مقررا

العام الجامعي :1442_1441هـ/ 2019_2020

إهداء

باسم الخالق الذي أودع فينا نعمة العقل وأكرمنا بنعمة الإسلام أبدأ، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم أصلي واسلم وأبارك عليه أما بعد فإنني:

أهدي ثمرة جهدي إلى التي علمتني مالم تعلمني إياه الكتب والمدارس، إلى أعز ما تحن إليه القلوب أمي الغالية،التي كان لها الفضل في إنارة قلبي وعقلي للعلم وتمسكا بحسن الأخلاق، داعيا رب العزة أن يحفظها ويطيل عمرها,وإلى أبي العزيز الذي كان دعائه سبب نجاحي

كما أهديها وبإخلاص غالم ربيع وأشكره على كل ما قدمه من نصائح وتوجيهات

كما أهديها إلى زوجتي وأبنائي غالم عبد المنعم، وغالم انصاف وأتمنى لهما مستقبلا النجاح في مشوارهما الدراسي.

وفي الإخير أهديها إلى أصدقائي و الموظفين معي بمؤسسة بلحاج بن عمار . 1 .

كلمة شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾

أما بعد: فإن العرفان بالجميل ليس واجبا فحسب بل هو أكثر من ذلك، ولأجل هذا فإننا نبدأ بشكرنا لله عز وجل الذي أنار لنا طريق العلم وسقانا بنعمه وقدرنا على انجاز هذا العمل المتواضع.

وأتقدم بشكري إلى أستاذتي الفاضلة والمحترمة: بلقاسم إيمان التي لم تبخل علي بالتوجيهات والإرشادات القيمة التي تمكنت بفضلها من تذليل و إزالة الصعوبات التي واجهتها، بالإضافة إلى الوقت التي منحتني إياه في إتمام عملي على أكمل وجه.

كما لا أنسى عظيم الشكر إلى لجنة المناقشة والتحكيم لتقييم هذا البحث.

وفي الأخير أشكر كل من ساهم في إعداد وتقويمي في مسيرتي الدراسية من التعليم الإبتدائي إلى المستوى الجامعي.

مقدّمـــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُعَدُّ الإمام أبو بكر الباقلاني(ت ق 4هـ) شخصية كبيرة من شخصيات الفكر الإسلامي في القرن الرابع الهجري، وبالرغم من تعرض الشخصية لأهم القضايا التي شغلت الفلاسفة آنذاك، وشغلت علماء الكلام والأصول، كوجود الخالق وصفاته، وخلق العالمين العلوي والسفلي بما فيهما من المخلوقات، فإن أحدا من الدارسين المحدثين لم يتوفر على دراسة الباقلاني دراسة مستقلة مستفيضة وإن تعرض لذكر بعض نواحي نشاطاته الفكرية بشكل جزئي دون استيفاء،فكل هذا لايغني عن دراسة متكاملة، وإن أولوية للباقلاني. وعلى عكس ذلك، فكثير من الدراسات ومئات البحوث والمؤلفات تناولت الباقلاني في علمه وجهوده وفكره ومصنفاته، لذا يعد من أهم أعلام الفكر واللغة والإعجاز في تاريخنا العربي وفي موروثني اللغوي والفكري.

ومن المشكلات الأساسية التي يواجهها الدارس لدى دراسة الباقلاني أن المصادر التي تحدثت عنه أو ترجمت له، لم تتفق على بعض الأمور الرئيسية التي يجب معرفتها عنها،فهذه المصادر قد أهملت – مثلا ذكر سنة ولادة الباقلاني، واختلفت في نسبته وفي وفاته وفي حياته العامة، وفي مناصبه التي استلمها وفيما إذا كان قاضيا أو قاضي قضاة، كما اختلفت في مذهبه الفقهي هل هو على المذهب المالكي أو الشافعي أو الحنبلي[1].

(1)سميرة عقيل، الباقلاني حياته وأثاره، جامعة قديس يوسف،بيروت، لبنان، 1980، ص6

يُعَدُّ الباقلاني (ت ق 4 هـ) من الشخصيات الفذة التي كتبت أحرفها من ذهب، فهو الذي دافع عن القرآن الكريم وعلومه، والتصدي للطوائف والفرق التي كان همها الطعن والتشكيك في صحة القرآن، وفي إخباره عن الأولين وفي انبائه لحوادث المستقبل وحكم التشريع وغيرها.

وهذا ما يدفعنا لطرح بعض التساؤلات ومنها:

- فيما تكمن شخصية الباقلاني؟
- ماهي الأسباب التي دافعته لتأليف كتاب الإنتصار للقرآن؟
- كيف دافع الباقلاني عن القرآن الكريم؟
- يعتبر الباقلاني من بين الشخصيات التي كانت تحارب الفرق الضالة المعادية للدِّين والقرآن.
- كان للشيخ الباقلاني ميل كبير واهتمام بمختلف العلوم التي تتعلق بالقرآن.
- تعتبر مسألة إعجاز القرآن من أهم المسائل التي تناولها العلماء في بحوثهم ودراستهم.

تكمن أهمية الموضوع في التعرف على شخصية الإمام الباقلاني، ومدى اهتمامه بالقرآن والدفاع عنه بكل الوسائل المتاحة سواء عن طريق المناظرات أو الحجج المنطقية، إضافة إلى معالجته للمسائل والقضايا التي لها علاقة بالقرآن الكريم، وعدم ترك الوقت الكافي للملاحدة لتضليل الناس عن الإسلام في ذلك العصر.

من الأسباب التي تم من خلالها اختياري لهذا الموضوع هي كالتالي:

1. الميل الشخصي للمواضيع التي تتعلق بالقرآن.
2. الرغبة في إثراء الرصيد اللغوي.

من بين المشاكل التي واجهناها أثناء معالجتنا للموضوع هي كالتالي:

1) صعوبة في عملية اختيارنا للموضوع والعنوان المناسب للبحث.

2) صعوبة في وضع خطة مناسبة للموضوع.

3) جمع البيانات من مصادر مختلفة تشكل أمرا صعبا في البحث حول الموضوع بسبب غلق المكتبات الجامعية .

إن لهذا البحث أهدافا وغايات كثيرة أذكر أهمها:

1)ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى أهم هدف وأسمى غاية.

2)وضع هذا البحث كمرجع للباحثين والطلبة.

فقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي لأن طبيعة البحث تتطلب ذلك.

لقد أفادتنا الدراسات السابقة كثيرا وخصوصا التي لها علاقة بإعجاز القرآن نذكر منها على سبيل المثال:

- نكت الانتصار للإمام الباقلاني.
- الباقلاني حياته وآثاره لسميرة عقيل.
- جهود الإمام الباقلاني في انتصار للقرآن الكريم دراسة تحليلية لزينب طلحة وبن ابراهيم الهنداوي.

لقد قسمت خطة البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، ففي الفصل الأول عالجت فيه حياة الإمام القاضي أبي بكر الباقلاني بحيث يتضمن هذا الفصل خمسة مباحث وهي:

1. المبحث الاول: التعريف بالإمام القاضي الباقلاني.
2. المبحث الثاني: شيوخه
3. المبحث الثالث: تلاميذته
4. المبحث الرابع:مؤلفاته
5. المبحث الخامس:مذهبه وعقيدته
6. المبحث السادس: وفاته

وأمَّا الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن كتاب الإنتصار للقرآن للإمام القاضي الباقلاني كأنموذج وقد قسمته كذلك إلى ستة مباحث وهي كتالي:

1.المبحث الأول: كتاب الإنتصار للقرآن.

2.المبحث الثاني: موازنة بين كتاب الإنتصار للقرآن وكتاب نكت الإنتصار وسبب تأليف كتاب الإنتصار.

3.المبحث الثالث: سبب جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس في صلاة التراويح على إمام واحد.

4.المبحث الرابع: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وحفظه للقرآن.

5.المبحث الخامس: القول في تفسير اللغات والأوجه والقراءات التي قلنا إنها المعنية بقوله" أنزل القرآن على سبعة أحرف".

6.المبحث السادس: ذكر اختلافهم في عدد الآيات وتقديرها ومعنى وصفها بأنها **آية**.

وفي خاتمة البحث لخصنا مختلف القضايا التي لها علاقة بالقرآن الكريم من جهة، ومن جهة آخرى حول المسائل التي تضمنها كتاب الإنتصار للقرآن للإمام الباقلاني.

غالم عبد القادر

2020/09/01م

1443/01/13هـ

تلمسان

المدخـــــل

إنَّ مصطلح "إعجاز القرآن" لم يكن معروفا في عهد النبوة والصحابة والتابعين، وإنما عرف فيما بعد، ودليل ذلك كتاب الله تبارك وتعالى، فالكلمة التي كانت تقوم مقام المعجزة هي الآية (1) وقد ورد كثيرا في كتاب الله تبارك وتعالى قال عز وجل : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ (2) وقال تعالى : وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾(3) وقال تعالى﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ (4)وقال تعالى﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۘ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾

(5) وقال تعالى:﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ (6)

ويرى بعض الكُتَّاب أن هناك كلمات أخرى كانت تقوم مقام هذه الكلمة منها كلمة البينة وهي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة وقال تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۘ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ (7)

(1) فضيل حسن، إعجاز القرآن،جامعة القدس المفتوحة، فلسطين ،ط.2، 1997، ص15

(2) سورة الإسراء (59)

(3) سورة الإسراء (101)

(4) سورة العنكبوت الآية (50-51)

(5) سورة الاعراف الآية (73)

(6) سورة الأعراف الآية (106)

(7) سورة الأعراف الآية (73)

ومنها كلمة "البرهان"وهو بيان الحجة وهو أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبدا لا محالة قال تعالى : ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ (1) وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ (2) ومنها كلمة السلطان وهي بمعنى التمكن قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ (3)ومنها كلمة التبصرة وهي البرهان وأصلها وضوح الشيء (4) قال تعالى﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ (5)

إنَّ مصطلح إعجاز القرآن لم يُعْرَف في عصر القرآن أو في عصر الصحابة و التابعين لذا يغلب على ضننا أن مصطلح الإعجاز والمعجزة لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري، حيث نشأ هذا المصطلح في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم ويردون أباطيل الملاحدة والزنادقة وأهل الزيغ والاهواء.

ويرى الأستاذ نعيم الحمصي أن هذا المصطلح لم يكن معروفا في الربع الثاني من القرن الثالث، يدل ذلك أن على بن الطبرى الذي ألف كتاب الاسلوب والبلاغة لم يستعمل في كتابه كلمة معجزة أو كلمة أخرى مشتقة منها بل استخدم في المناسبات التي تدعو إلى استخدامها كلمة آية التي كانت لاتزال مستعملة في عصره.

(1) سورة القصص الآية (32)

(2) سورة النساء الآية (174)

(3) سورة المؤمنون الأيات (45-46)

(4) سورة الإسراء الآية (59)

أولا : تعريف الإعجاز لغة وإصطلاحا

أ.الإعجاز لغة : قبل الوصول إلى تعريف لفظة الإعجاز، لابد لنا من الإشارة إلى أن بعض الكُتَّاب من القدامى والمعاصرين ـ على حد سواء ـ قد اعترض على استخدام لفظ المعجزة ومشتقاته في الإشارة إلى عجز الإنسان عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم أو بشيء من مثله أو في الإشارة إلى استعصاء تقليد القرآن الكريم على الجهد البشري، واستعلاء كلام الله تعالى على جميع خلقه، لأن كلام الله الخالق لابد و أن يكون مغايرا لكلام البشر جملة وتفصيلا، ولو أنه انزل بأسلوب يفهمه البشر وقت نزوله (1) وفي كل عصر من العصور التالية لنزول إلى أن يرث الله تعالى ـ الأرض ومن عليها ـ وحجة المعترضين على لفظ معجزة ومشتقاته تقوم على أساس من أن لفظ لم يرد له ذكر في كتاب الله بالمعنى الشائع اليوم ولا في الصحيح من الأحاديث النبوية الشريفة.وإن وردت مشتقاته للدلالة على عدد من المعاني القريبة أو المغايرة قليلا لذلك في ستة وعشرين موضعا من القرآن الكريم بألفاظ (أعْجَزَ)، و (مُعَاجِزِين)، و (مُعْجِزِين)، و (عَجُوزٌ)، و (أعْجَازٌ) وتصريفاتها وذلك من مثل قوله تعالى : ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ (2)

﴿إِن مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ (3)

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ (4)

﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ (5)

(1) زغلول راغب محمد النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، دار المعرفة، بيروت لبنان ، ط.1، 2009، ص139

(2) سورة المائدة الأية (31)

(3) سورة الأنعام الأية (134)

(4) سورة الأنفال الأية (59)

(5) سورة التوبةالأية (2)

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ ﴾ (1)

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ ﴾ (2)

﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ ﴾ (3)

﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٤٦ ﴾ (4)

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١ ﴾ (5)

﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٥٧ ﴾ (6)

﴿ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٧٠ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٧١ ﴾ (7)

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٢٢ ﴾ (8)

---

(1) سورة التوبة الأية (3)

(2) سورة هود الايات (19- 20)

(3) سورة هود الأية (72)

(4) سورة النحل الآية (46)

(5) سورة الحج (51)

(6) سورة النور الآية (57)

(7) سورة الشعراء الآيات (170- 171)

(8) سورة العنكبوت الآية (22)

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝٥﴾ (1)

﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝٣٨﴾ (2)

﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ۝٤٤﴾ (3)

﴿إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝١٣٤ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝١٣٥﴾ (4)

﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٥١﴾ (5)

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ۝٣١﴾ (6)

﴿وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٣٢﴾ (7)

﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ۝٢٩﴾ (8)

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ۝٢٠﴾ (9)

﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧﴾ (10)

---

(1) سورة سبأ الآية (5)
(2) سورة سبأالآية (38)
(3) سورة فاطر الآية (44)
(4) سورة الصافات الآيات (134-135)
(5) سورة الزمر الآية (51)
(6) سورة الشورى الآية31)
(7) سورة الأحقاف الآية 32
(8) سورة الذاريات الآية 29
(9) سورة القمر الآية 20
(10) سورة الحاقة الآية7

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ (1)

ودلالة هذه الألفاظ في تلك المواضع قد تبعد قليلا عما أُرِيد التعبير عنه بلفظ المعجزة عند علماء اللغة، خاصة أن القرآن الكريم قد أشار دوما إلى مدلول المعجزة بلفظ آية (بصيغة المفرد والمثنى والجمع في أكثر من ثلاثمئة وثمانين موضعا منه(2).

من خلال ما سبق من سرد للآيات يشير الاستاذ نعيم الحمصي إلى انه لم ترد مطلقا لفظة المعجزة والإعجاز في كتاب الله عز وجل وهذا ما أشار إليه الأستاذ زغلول راغب محمد النجار، ويتابع قائلا لم يرد في القرآن لفظ معجزة أو إعجاز وإنما جاء في ألفاظه آية برهان سلطان وهذه الكلمة لا ترادف كلمة معجزة(3).

قال الإمام الجوهري (ت سنة 395 هـ):العجز:الضعف : تقول عجزت من كذا أعجز بالكسرة عجزا ومعجزة وعجز بالفتح على القياس... والتعجيز والتنطيط وكذلك إذا نسبته إلى العجز والمعجزة واحدة من معجزات الأنبياء(4)

قال الراغب الأصفهاني(ت سنة 502 هـ): العجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره ... والعجز ضد القدرة(5) وقال عز وجل ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ (6) ،أَعجزْت فلانا وعَاجَزْتُه أي جعلته عاجزا... والعَجُوز سميت عجوز لعجزها في الكثير من الامور، قال عز وجل﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ (7).

(1) سورة الجن الآية (12)
(2) زغلول راغب محمد النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ط.1، ص140
(3) نعيم الحمصي، فكرة الإعجاز القرآن منذ البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، امؤسسة الرسالة، ط. 2، 1980،ص 07
(4) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن،تح صفوان عدنان داوودي، ،دار القلم للنشر، دمشق، سوريا، 2009، ط4، ص547
(5) الجوهري، الصحاح، دار الحضارة العربية، بيروت، لبنان ج2، ط1، ص31
(6) سورة المائدة الآية (31)
(7) سورة الصافات الآية (135)

وقال الزمخشري (ت سنة 538 هـ): في كلمة معجزة(عجز) طلبته فأعجز، وعاجزا إذا سبق فلم يدرك وإنه لمعجوز وهو من عاجزته أي سابقته فعجزته... وعجز فلان عن العمل إذا كبر(1).

وذكر ابن فارس: أن العين والجيم والزاي تدل على أصلين أحدهما الضعف والآخر مؤخر الشيء(2).

أما ابراهيم أنيس: فقد عرفه بأنه مشتق من الفعل أعجز بمعنى الفوت والسبق يقال اعجزني فلان أي فاتني وقال الليت أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه إدراكه.

قال ابن منظور(ت سنة 711هـ): ((العجز: نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزا فيهما ورجل عجز وعجز. ومرأة عاجزة عن الشيء(3)، عن ابن الأعربي وعجز فلان رأي فلان إذا نسبه إلى خلاف الحزم كأنه نسبه إلى العجز... والعجز الضعف، تقول:عجزت عن كذا أعجز والمعجزة بفتح الجيم وكسرها مفعلة من العجز: عدم القدرة ... وقيل أراد بالعجز: ترك ما يجب فعله بالتسويف)).

ومقتضى هذا الكلام أن ابن منظور يرى العجز أعم من أن يكون ضعفا وانعدام قدرة بل يقصده نوعا من التسويف والسبب في ذلك هو الكسل والخمول وهذا ما أدى به للعجز على فعل شيء ما.

وهناك تعريف آخر للإعجاز((إثبات العجز وهو الضعف والقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة، منه المعجزة، هو عدم القدرة على فعل شيء)).

و أورد العلماء تعريفا للمعجزة:((اسم فاعل من الإعجاز، والإعجاز مصدر للفعل أعجز والمعجز والمعجزة ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة كما جاء في قولهم علامة ونسابة وجمعها معجزات وسميت معجزة لعجز البشر عن الإتيان بمثلها)).

أ. الإعجاز إصطلاحا:

اختلفت عبارات أهل العلم في ضبط مصطلح (الإعْجَاز) من حيث الدقة في التحديد والإلمام بجوانبه المتعددة.

(1) الزمخشري، أساس البلاغة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، ط.1، ص243

(2) أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي ، مج4،ط.2،1969، ص232

(3) ابن منظور، لسان العرب، دارللسان العربي ، بيروت، لبنان،ج2، ط.1، ص691

ولهذا عرَّفوا الإعجاز بقولهم هو إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة العز العربي عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم(1)

وفي هذا يقول الأستاذ محمد علي الصابوني بقوله: "إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، وليس المقصود من اعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذلك العجز، أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن فإن ذلك معلوم لدى كل عاقل إنما الغرض هو اظهار أن هذا الكتاب حق وأن الرسول الذي جاء به رسول صادق وهكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام"(2).

وهناك من عرف الإعجاز بأنه: ظهور أمر خارق للعادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدى عن المعارضة.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (ت سنة 2013م): "أجمع عامة الباحثين من علماء العربية والتشريع والفلسفة والفرق المختلفة أن القرآن معجز"(3).

وعرفها السيوطي(ت سنة 911 هـ) بقوله: "اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة "(4)

وعرَّفها عبد السلام لوح بقوله :" أن المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد النبي على وفق مراده تصديقا له في دعواه مقرونا بالتحدي مع عدم المعارضة، وذلك كله في زمن التكليف"

وهناك من أثبت الإعجاز بشيئين: أحدهما ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة مزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، وثانيهما: استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه(5).

(1) لدية نصاح، وفريدة شوداني، سر الإعجاز القرآني لأحمد القبانجي- دراسة نقدية- جامعة البويرة، 2016، ص 16

(2) محمد علي صابوني، البيان في علوم القرآن،دار شهاب، ط.1، ص83

(3) عمار ساسي ، الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، دراسة نظرية للإعجاز في الآيات المحكمات، دار المعارف للإنتاج والتوزيع،بوفاريك ،البليدة،ج 1،ط.1 ص16

(4) جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، تح أحمد بن علي، دار الحديث،ج 4،2004،ط.1،ص03

(5) مصطفى صادق الرافعي، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية تاريخ آداب العرب، دارالكتاب العربي، ج 2، ط.1ص139

قال الجرجاني في التعريفات: "الإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق"(1).

الذي يتضح من خلال هذه التعاريف أن المفهوم الشامل للمعجزة بانها أمر خارق للعادة أتى بها نبي من الأنبياء في زمن من الازمنة تحدى بها من كانوا في زمانه ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثلها

ومثال ذلك معجزة القرآن لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أظهرها الله على نبيه، لإظهار صدق نبوته وليتحدى بها العرب.

(1)علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، دارالفكر للنشر والتوزيع، 1998، ط.1، ص52

الفصل الأول:

1. المبحث الاول: التعريف بالإمام القاضي الباقلاني.
2. المبحث الثاني: شيوخه
3. المبحث الثالث: تلاميذته
4. المبحث الرابع: مؤلفاته
5. المبحث الخامس:مذهبه وعقيدته
6. المبحث السادس: وفاته

أولا : التعريف بالإمام القاضي الباقلاني

أجمعت المصادر التي ترجمت للباقلاني على أنه محمد الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المكنى بأبي بكر.

وقد اختلفت المصادر في نسبته، فأبو حيان التوحيدي وابن الأثير وابن خلكان، وأبو الحسن التباهي، ويجعلون نسبته الباقلاني: قال ابن الأثير:الباقلاني بفتح الباء الموحدة وكسر القاف بعد الألف واللام وفي آخرها النون، وهي نسبته إلى الباقلاني وبيعه.

وأما الخطيب البغدادي و القاضي عياض، وتاج الدِّين السبكي وابن العماد الحنبلي، فيجعلون نسبته ابن الباقلاني، وأما الجرزي فيجعل نسبته الباقلاوي بالواو من دون النون وقد يكون لجريان النسب على الأب وانتقاله إلى الابن شأن أحدث هذا الاختلاف.

أو قد يكون لتناقل الأسماء و الأنساب على مر الأجيال شأن آخر حصل منه هذا الإستبدال، فنعت بنسب الأب مرة وأطلق عليه النسب مرة أخرى، وهذا أمر كثير الحدوث لدى العرب.

وقد لقب الباقلاني بالقاضي من طائفة من المؤرخين نذكر منهم، الخطيب البغدادي، وابن الجوزي،وابن الأثير، وتاج الدِّين السبكي(1).

والباقلاني مالكي المذهب كما بين ذلك القاضي عياض على لسان ابن عمار الميورقي: كان ابن الطيب مالكيا، وهو أيظا متكلم على مذهب أهل السنة وأهل الحديث، على حد تعبير ابن فرحون، وقد برزت عنه نزعته الى الاشعرية في علم الكلام في مختلف المصادر التي وصلتنا ومنها : تاريخ بغداد، وفي تاريخ الكامل وصفه ابن الأثير القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الأشعري وأتى هذا الوصف على لسان ابن فرحون في الديباج، كما لقبه السبكي سيف السنة.

(1) نفسه، ص9

غير أن أكثر من أشرف في إعطاء الباقلاني ألقاب المديح هو القاضي عياض ثم ابن فرحون والثاني منهما ينتقل عن الأول في الغالب، قال: الملقب شيخ السنة ولسان الأمة، المتكلم على مذهب أهل السنة وأهل الحديث وطريقة أبي الحسن الأشعري.

وإذا كانت هذه الألقاب إيجابية المنزع، فإن الباقلاني لم يعدم من يصفه بالألقاب السلبية، إذ نعلم أن أبا حيان التوحيدي في كتابه الأمتاع والمؤانسة يتهمة بالإلحاد فهو على مذهب الحزمية وطرائف الملحدة، وقد يكون ذلك راجعا إلى عداوة التوحيد الشديدة للكلام والمتكلمين، وذلك موقف عبه عنه أبو حيان في معظم كتبه.

وولد الباقلاني بالبصرة ونشأ فيها وتلقى العلم على علمائها ثم رحل إلى بغداد فأخذ عنها ثم اتخذها دارا لإقامته حتى قضى نحبه فيها. يقول الزركلي هو قاضي من كبار علماء الكلام.

انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة ولد في البصرة وسكن في بغداد وهذا صريح في أن ولادة الباقلاني كانت في مدينة البصرة(1).

عُرِفَ الباقلاني بأنه كان رجلا عالي الهمة واسع الإطلاع قوي الذاكرة سريع الخاطر حاضر البديعة متقد الذكاء وكانت له شخصية فذة ومهابة عظيمة لدى أقرانه ومعاصيريه يدل على ذلك ما أورده القاضي عياض من أن أبا ذر الهروي قال: "كان سبب أخذ عن القاضي أبي بكر ومعرفة بقدره أني كنت مرة ماشيا ببغداد مع أبي الحسن الدارقطني إذ لقيت شابا فأقبل الشيخ أبو الحسن عليه وعظمه ودعا له. فقلت للشيخ من هذا الذي تصنع به هذا؟ فقال لي:هذا أبو بكر الطيب نصر السنة وقمع المختزلة وثني عليه.قال أبو ذر: فاختلفت إليه وأخذت عنه من يومئذ.(2)

(1) خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من الأعراب و المستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج 7،ط.1ص46

(2) محمد حيدر ، مساهمات الإمام الباقلاني في مقارنة الأديان مع التركيز الخاص على مناظراته مع النصارى،جامعة الهدى الإسلامية ، الهند، 2018، ط.1 ص9

ثانيا : شيوخه

ممَّا لاشك فيه أن الباقلاني تتلمذ عند كثير من شيوخ البصرة وبغداد ونهل من علمهم، وأخذ عنهم مختلف المعارف والعلوم، ولا سيما في مجال العقيدة والفقه وعلم الكلام، ونحن هنا نذكر أبرز هؤلاء العلماء ممن أخذ عنهم العلم والمعرفة، وكان لهم أثر كبير في شخصية الباقلاني ونضوجه العلمي، ومن هؤلاء:

1.أبو الحسن الباهلي البصري، صاحب أبي الحسن الأشعري، يذكر أنه كان إماميا ثم تاب وعاد إلى مذهب أهل السنة إثر مناضرة مع أبي الحسن الأشعري، وكان إماما في عقيدة أهل السنة ينشر مذهبهم، ويعلم قواعد اعتقادهم، توفي سنة سبعمائة وثلاثمئة للهجرة.

2.أبو بكر محمد بن عبد الله الأبهري، شيخ المالك يتي في عصره، تتلمذ الباقلاني على يديه ونهل من علمه الغزير في الفقه، صحبه الباقلاني في الحديث، توفي سنة ثمان وستين وثلاثمئة.

3.أبو عبد الله بن جعين الشيرازي من تلاميذه أبي الحسن الأشعري وهو فقيه الشافعي،وهو شيخ الباقلاني في الأصول، توفي سنة احدى وسبعين وثلاثمئة.

4.أبو الحسن بن عبد العسكري، إمام في الأدب والحفظ وهو صاحب أخبار ونوادر، أخذ عنه الباقلاني مسائل في البلاغة والأدب توفي سنة اثنين وثمانين وثلاثمئة .

5.أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي،ونسبته إلى قطعة الدقيق في بغداد، وهو رواية مسند الإمام أحمد وهو شيخ الباقلاني في الحديث، توفي سنة ثمان وستين وثلاثمئة(1).

6.أبو محمد عبد الله بن أبي القيرواني، إمام كبير في الفقه المالكي جمع المذهب وشرح أقوال الإمام، وكان يعرف بمالك صغير، رحل إليه العلماء وأخذ عنه الباقلاني في الفقه، توفي سنة ستة وثمانين وثلاثمئة.

(1) القاضي أبي بكر الباقلاني، نكت الإنتصار، دار ابن حزم، دار الفتح للنشر والتوزيع ،الأردن، ط.1، ص19

7.محمد بن أحمد بن اسماعيل أبو الحسن بن سمغون البغدادي، كان عجيبا في الكلام على الخواطر وحسن الوعظ، حتى كتب الناس حكمة وجمعوا كلامه، كان يأتيه الباقلاني والإسفراييني يبقى فيقبلان يده ويجلانه توفي سنة سبع وثمانين وثلاثمئة.

ثالثا : تلاميذه

لقد عاش في عصر امتاز بكثرة مجالس العلم وإقبال الناس على العلماء، فكان في مجلسه كثيرون أخذو ا من علمه ونهلوا من معينه، ومن أبرز تلاميذه :

1.أبو ذر الهروى، عبد بن أحمد الحافظ الثقة المالكي محدث الحرم، المعروف بدينه ووعيه وعلمه (ت(434) أخذ علم الكلام على الباقلاني.

2.القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي (ت(422) الإمام الكبير صاحب "التلقين" و"الإشراف" وغيرها، أخذ عن الباقلاني الفقه وعلم الكلام.

أبو عمران موسى بن عيسى الفاسي (ت437هـ)الإمام الجليل الفقيه المقرئ، الحافظ، أخذ عن الباقلاني الأصول(1).

3.أبو الحسين علي بن عيسى السكري الشاعر (ت413) كان حافظا بالقراءات أدبيا،أخذ عن الباقلاني علم الكلام، وامتدحه بقصيدة عظيمة.

4.القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد السناني الحنفي (ت ع ع هـ)، أبو جعفر، كان فقيه عالما فاظلا.

6.الحسن بن حاتم الأزدي أخذ عن الباقلاني أصول الفقه، وهو الذي نعته الباقلاني إلى دمشق، ليوضع الحق ويبين مذهب أهل السنة.

(1) نفسه، ص21

7.القاضي عبد الله بن محمد الأصبهاني،المعروف بابن اللبان (ت 446هـ) كان من أهل العلم الكبار،وأخذ عن الباقلاني الأصليين.

8.محمد بن الحسين بن موسى اليسابوري، أبو عبد الرحمان السلمى تتلمذ على الباقلاني في شيراز وقراء عليه كتاب اللمع، لأبي الحسن الأشعري.

9.محمود بن الحسن الطبري، أبو الحاتم المعروف بالقزويني، أخذ عن الباقلاني أصول الفقه.

10.صمصام الدولة بن عضد الدولة البويهي، أدبه الباقلاني وعلمه شتى العلوم، اغتيل بعد موت والده سنة 388هـ وله خمسة وثلاثون سنة.

رابعا : مؤلفاته

تمتاز مؤلَّفات الباقلاني بطول النَّفس وأنَّها في معظمها في الدفاع عن الدين والتصدي لرد الشبهات العرق كالرافضة وأهل البدع والضلالات، كما أنها تمتاز بالعمق والقوة، وخاصة أن الباقلاني رحمه الله يمتاز عن غيره في أغلب الأحيان (1).

كما يتميز الباقلاني بغزارة انتاجه، فقد ألف العديد من الكتب التي بلغت الذروة في الشهرة والأهمية، من مصنفات ورسائل، على تنوع اختصاصاته وغزارة علمه. لقد ذكر بروكلمان أن الباقلاني كتب مخطوطات عديدة أهمُّها:

"مناقب الائمة ودقائق الكلام وهدية المسترشدين والبيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة وكشف أسرار الباطنية ".(2)

(1) نفسه، ص22

(2) ابراهيم الخليل، الاسلوبية ونظرية النص، دار فارس، عمان، ط.1، 1997،ص18

من مؤَلَّفاته:

(1) التَّمهيد وهو الكتاب الذي ألفه بشيراز لابن عضد الدولة البويهي، وولي عهد صمصام الدولة، وهو كتاب فيه الرد على الملحدة والجهنمية والمعتزلة وقد طبع مرتين.

(2) شرح كتاب اللمع للإمام الحسن الأشعري رحمه الله، و"اللمع" مطبوع .

(3) كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر مطبوع بتحقيق ريتشرد مكارثي سنة 1958.

(4) الإنصاف فيما يجب اعتقاده، ولا يجوز الجهل به ،والمعروف برسالة الحرة ،وهو مطبوع بتحقيق العلامة الشيخ محمد الزاهد الكوثري رحمه الله.

(5) إعجاز القرآن وقد طبع عدة طبعات في مصر على هامش كتاب "الإتقان"ومتفردا بتحقيق الأستاذ سيد صقر رحمه الله.

(6) هداية المسترشدين والمقنع في معرفة أصول الدين، مخطوط، منه نسخة في مكتبة الأزهر برقم 342 لوحة.

(7) الإبانة عن إبطال أهل الكفر والضلالة

(8) كيفية الإستشهاد في الرد على أهل الحجة والعناد.

(9) كتاب اكفار المتأولين وحكم الدار.

(10) كتاب التعديل والتجوير.

(11) كتاب الإمامة الكبير.

(12) كتاب الإمامة الصغير.

(13) كتاب شرح أدب الجدل.

(14) كتاب الأصول الكبير في الفقه.

(15) كتاب الأصول الصغير في الفقه(1).

(1) القاضي أبي بكر الباقلاني، نكت الإنتصار، ص23

(16) كتاب مسائل الأصول.

(17) كتاب أمالي إجماع أهل المدينة

(18) كتاب المسائل المنثورة والمجالسات.

(19) كتاب فضل الجهاد.

(20) كتاب الرَّد على المتناسخين.

(21) كتاب الحدود.

(22) كتاب الرَّد على المعتزلة.

(23) كتاب في أن المعدوم ليس في شيء.

(24) كتاب المقدمات في أصول الديانات.

(25) كتاب المسائل القسطنطينية.

(26) كتاب إمامة بني العباس.

(27) كتاب أجوبة أهل فلسطين.

(28) كتاب البغداديات.

(29) كتاب النسابوريات.

(30) كتاب الجرجانيات.

(31) كتاب الأصبهانيات.

(32) كتاب الكرامات.

(33) كتاب الاحكام والعلل(1).

(34) كتاب نقض الفنون.

(35) كتاب تصرف العباد.

(36) كتاب التقريب والإرشاد في الأصول.

(1) نفسه، ص 24

(37) كتاب المقنع في أصول الفقه.

(38) كتاب دقائق الإسلام والرد على من خالف الحق من الأوائل منتحلي الإسلام.

(39) كتاب مسائل سأل عنها ابن عبد المؤمن.

(40) كتاب البيان عن فرائض الدين.

(41) كتاب مختصر التقريب والإرشاد الاصغر.

(42) كتاب مختصر التقريب والإرشاد الأوسط طبع قسم منه، بتحقيق الدكتور أبوزنيد، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت.

(43) كتاب مناقب الأئمة.

(44) كتاب الدماء التي جرت بين الصحابة.

(45) كتاب التَّبصرة.

(46) كتاب رسالة الأمير(1).

(47) كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار في الرد على الباطنية.

(48) كتاب الإنتصار.

خامسا : مذهبه وعقيدته

أمَّا في الاعتقاد فقد كان أبوبكر الباقلاني سنِّيا علما في مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى وكان من أبرز الأئمة الذين أسهموا في انتشار المذهب وتثبيت قواعده والذب عنه، خاصة في وجه المعتزلة وبعض الفرق الضالة ممن حاولوا النيل من عقيدة أهل السنة، فكان القاضي الباقلاني لهم بالمرصاد، ونافح عن دين الله بما أوتي من حجة وقوة وبرهان.

أمَّا مذهبه الفقهي فهو المذهب المالكي، كما نص على ذلك أكثر علماء عصره ومن كتب

(1) القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، الإنتصار للقرآن، تح محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، ص70

عنه، بل إن القاضي عياضا كان يعتبره إمام المالكيين في وقته وعالم عصره المرجوع إليه فيما أشكل على غيره، إليه انتهت رياسة المالكيين في وقته.

وأمَّا الإمام السبكي (ت سنة 756هـ) فعدَّه من علماء الشَّافعية، كما ذكر بعض العلماء أنه كان حنبليا، والراجح الذي تطمئن إليه النفس، والذي استفاض عنه رحمه الله أنه كان مالكيا في فروع الشريعة.

سادسا : وفاته

اتَّفقت كتب التراجم في أن القاضي أبي بكر محمد بن الطيب توفي يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمئة الإ أن القاضي عياض ذكر أنه وجد من يقول بأن القاضي أبا بكر مات سنة أربعمائة ثم عقب عليه القاضي عياض بأن هذا خطأ والأول هو الصحيح.

قال ابن خلكان : توفي القاضي أبو بكر الباقلاني يوم السبت ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد(1).

دفن القاضي في داره بنهر طابق ثم نقل بعد ذلك إلى مقبرة باب حرب فدفن بجوار قبر أحمد بن حنبل ونقش على شاهد تربته ما نصه: هذا قبر القاضي الإمام السعيد فخر الامة ولسان الملة وسيف السنة عماد الدين ناصر الإسلام أبي بكر محمد بن الطيب البصري قدس الله روحه وألحقه بنبيه محمد صلوات الله عليه وسلامه .

وحكى عساكر أن الشيخ أبا الفضل التميمي حضر يوم وفاة الإمام الباقلاني العزاء مع إخوته وأصحابه وأمر أن ينادى بين يدي جنازته: هذا ناصر السنة والدين هذا إمام المسلمين هذا الذي كان يذب عن الشريعة ألسنة المخالفين هذا الذي صنف سبعين ورقة ردا على الملحدين.

(1) نفسه، ص28

قال الذهبي: "وكانت جنازته مشهودة وكان سيفا على المعتزلة والرافضة والمشبهة، وغالب قواعده على السنة .... وكان أبو الفضل التميمي شيخ الحنابلة معظما له، وذكر أنه ألف سبعين ألف ورقة"(1)

(1) محمد بن عبد العزيز الخضيري،المناضرة العجيبة، وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم، دار الوطن للنشر، رياض،السعودية،ط.1 2000،ص15

الفصل الثاني:

1. المبحث الأول: كتاب الإنتصار للقرآن.
2. المبحث الثاني: موازنة بين كتاب الإنتصار للقرآن وكتاب نكت الإنتصار

وسبب تأليف كتاب الإنتصار.

3. المبحث الثالث: سبب جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس في صلاة التراويح على إمام واحد.
4. المبحث الرابع: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وحفظه للقرآن
5. المبحث الخامس: القول في تفسير اللغات والأوجه والقراءات التي قلنا

إنها المعنية بقوله" أنزل القرآن على سبعة أحرف"

6. المبحث السادس: ذكر اختلافهم في عدد الآيات وتقديرها ومعنى

وصفها بأنها آية.

أولا : التعريف بكتاب الإنتصار للقرآن

1. تعريف علم الإنتصار:

قبل أن نتطرق لتعريف بكتاب الإنتصار يجب علينا تقديم مفهوم لعلم الإنتصار لغة وإصطلاحا:

- ✓ الإنتصار لغة: النصر، عون المظلوم والإنتقام من الظالم(1) ونصره، نجّاه وخلّصه.
- ✓ الإنتصار إصطلاحا: **" العلم الذي يبحث في فهم الشبهات المثارة حول القرآن الكريم، والانتصاف منها بالحجة المؤيدة بالدليل الصحيح"**

أ – اسم الكتاب: الذي يرجح لدي من خلال المطالعات أن اسم الكتاب هو "الإنتصار للقرآن" وقد ورد بهذا اللفظ تماما دون زيادة أو نقصان على الصفحة الأولى من النسخة الخطية، وهو ماأثبته السيوطي في كتاب "الإتقان" عند النقل عن القاضي أبي بكر وكذا غيره من الناقلين وإن مما يؤكد هذا الإسم أنه يعنيه الإسم الذي أثبته صاحب " النكت " فقال "نكت الإنتصار للقرآن " وهذا أورده القاضي عياض في كتاب" ترتيب المتارك".

وقد سماه بعض الكتاب المعاصرين (2) :الإنتصار لصحة نقل القرآن ومستنده في ذلك أن هذه التسمية قد وردت في كتاب " هداية المسترشدين" للباقلاني ، وليس هذا مما يؤكد لهذه التسمية ، بدليل أن المؤلف حين يتحدث في ثنايا كتابه عن كتاب آخرله، ولا يكون دقيقا في ذكر اسم الكتاب، حيث لا يكون ذلك مجال تحقيق الإسم بقدر قصد الإشارة إليه وإلى القضية التي يعالجها، وهو صحة نقل القرآن.

وبعض الكتاب يذكر تحت عنوان "الإنتصار لنقل القرآن" والأول أولى أن يصار إليه.

ثم إن موضوع الكتاب أشمل من أن يكون مقتصرا على صحة النقل للقرآن، فهو كتاب فيه الحديث عن القرآن الكريم من حيث نزوله وثبوته ودقة عبارته وجزالة ألفاظه وتواتر نقله إلى غير ذلك من القضايا التي لها تعلق مسيس لكتاب الله تعالى.

(1) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1995،ط.1، ص621

(2) محمد رمضان عبد الله، الباقلاني و آراؤه الكلامية، مطبعة الامة، بغداد، العراق، 1976،ط.1، ص205

ب- نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

أما نسبة الكتاب إلى مؤلفه فتكاد تكون اجتماعا بين أهل العلم قديمهم وحديثهم سواء من أخذ عنه، أو أشار إليه، أو نقل عنه ،أو لخصه، أو تكلم عليه من قريب أو بعيد (1)

وقد صدرت النسخة الخطية للكتاب بالنص التالي:

"الأول من كتاب الإنتصار للقرآن،تأليف الشيخ الإمام العالم العامل المتقن المحقق،القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد الأشعري، الباقلاني البصري رضي الله عنه، توفي رحمة الله تعالى عليه آخر يوم السبت ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد يقول الأستاذ فؤاد سركين في تصديره لنشرته للأصل الخطي للكتاب "ربما لا نخالف الصواب إن قلنا إن هذا الكتاب من أحسن نماذج ما وصل إلينا من التركة العلمية للباقلاني، لإعطائنا انطباعا عن شخصيته متكلما سيأخذ قضية الدفاع عن القرآن على عاتقه، واتقانا بأنه كفؤ لها.

ب. نسخ الكتاب:

للكتاب نسخة فريدة محفوظة بمكتبة قرة مصطفى باشا بأستانبول، تحتوي على المجلد الأول من الكتاب فقط، وسيأتي وصفها، ولم يذكر أحد من المحققين أنه عثر على الجزء الثاني منها.

أولا أنه قد حصل على نسخة أخرى لأحد الجزئين، غير ما ذكره الأستاذ فؤاد سزكين أن قسم كلا المجلدين موجود في المكتبة الحسنية بالرباط وهو غير كامل، وغير واضح للكتابة، ولم يشر إلى رقمه أو إلى أي معلومة تدل عليه، وحاولت الحصول على مصورة عن هذه النسخة لكن دون جدوى فاقتصر اعتمادي في التحقيق على نسخة استانبول.

(1)القاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلاني، الإنتصار للقرآن، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط.1، ص30

ج. وصف المخطوط:

المخطوط هو ذلك النوع من الكتب التي كتبت بخط اليد لعدم وجود الطباعة وقت تأليفها، وتمثل المخطوطات مصادر أولية للمعلومات(1).

يقع مخطوط مكتبة قرة مصطفى باشا بأستانبول من كتاب"الإنتصار" في ما يزيد على ثلاثمئة ورقة، ثم تصوير كل صفحة على حده، فخرج ستمئة وثلاث صفحات(1)، من القطع الوسيط

في كل صفحة عشرون سطرا، في كل سطر ما من ثلاث عشرة إلى ست عشرة. كلمة، بخط مشرقي جميل واضح في أكثره فيه شيء من الطمس في بعض الكلمات، وعدم وضوح في بعضها غير مشكول، وغالبا بنقط الحروف وقد يترك النقط أحيانا على هامشه استدراكات للناسخ، أو تصويب لبعض الكلمات أو بيان للآية التي بريد الحديث عنها وخاصة في مطاعنهم في صحة القرآن ونظمه من جهة اللغة. وهذه المخطوطة قام بنشرها تصويرا معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية الذي سيشرف عليه الأستاذ فؤاد يزكين ضمن سلسلة (ج) عيون التراث المجلد.ع. وكتب عليه:"طبع بالتصوير عن مخطوطة قرة مصطفى باشا، مكتبة بايزيد في استانبول، طبع بطريقة التصوير في مطبعة كليث شتوتغارت في صفحة العنوان توقيع نصه أحمد بن عثمان الشافعي والنسخة تبدو قديمة بقدر أنها من مخطوطات القرن السابع، وقد ورد على صفحة الغلاف والأخير تاريخ، للمطالعة في سنة 1090 وجاء ختم في أوله وأوسطه في أثر من محل وهو ختم للمكتبة التي وقفت فيها هذه المخطوطة، وهو ختم بيضاوي كتب عليه:"وقف هذا الكتاب لوجه الله الأجل الأعظم، مصطفى باشا الوزير الأعظم"

ويلاحظ على النسخة الأمور التالية:

1. يكتب الناسخ أحيانا بخط متشابك الحروف بحيث يصعب تمييز الحروف بعضها من بعض.
2. يقع في بعض الأخطاء الإملائية أحيانا، واللغوية أحيانا، وقد ذكرت ذلك في مكانه وأشرت إليه في حاشية التحقيق

(1) حياة كتاب،مخطوطات العربية الإسلامية هوية وتراث، جامعة المسيلة، الجزائر، ص 4

3.وقع في النسخة خلط في ترتيب بعض الصفحات.

د . سبب تأليفه كتاب "الإنتصار" والداعي لذلك:

من أبرز الأمور التي دعت الباقلاني رحمة الله تعالى إلى تأليف هذا الكتاب ظهور فرق في عصر المؤلف كان همها الطعن في القرآن والتشكيك فيه وفي صحة نقله وخلوه من الخطأ واللحن فانبرى لهم الباقلاني مفندا المزاعمهم داحضا لحججهم، مبينا وهاءها صغارها وهذه الطعون كما أجملها المصنف رحمة الله دائرة حول قضايا من أرزها:

(1) دعوى الزيادة في القرآن الكريم.

(2) دعوى النقص منه.

(3) دعوى الخلل واللحن على النص القرآني.

(4) إيراد هم لشبه قد تنطلي على العامة مثل دعوى اللحن في القرآن وأنه كان منذ تنزل القرآن وأن العرب ستقيمه بألسنتها، وما ورد عن أبن مسعود أنه كان يحك المعودتين من القرآن .

(5) ما يتمسك به بعض طوائف الشيعة من الطعن في بعض الصحابة وأنهم كانوا السبب في ضياع جزء كبير من القرآن.

ثانيا : موازنة بين كتاب "الإنتصا"ر للقرآن وكتاب " نكت الإنتصار"

أ -نبذة عن كتاب" الإنتصار

كتاب نكت الإنتصار قال عنه مؤلفه أبو بكر الصيرفي رحمة الله:" لما وقفت على كتاب الإنتصار للقاضي الإمام أبي بكر محمد بن الطيب الأشعري رضي الله عنه، وقوف تأمل لفصوله، واطلاع على أبحاثه(1)، رأيت كتابا عظمت فوائده وجلت، وخصت علومه وعمت،

(1) القاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلاني، الإنتصار للقرآن ، ص34

غير أنه رحمة الله عول فيه على أسلوبه في سائر كتبه، في استقصاء الأدلة، وكثرة البحث عن المبتدئ، والسابق يكل دون شكوى فكيف بالمصلي، فرأيت أن أجمع نكته على سبيل الإختصار، وأسمي الكتاب "نكت الإنتصار" ولا أدعي أن اختصارما اختصرته عن فساد، ولا أن اختياري يحكم بصحة الإنتقاد، غير أني لطفت حجم الكتاب، وتوخيت طرق الصواب،...

ومن خلال هذا التقديم لكتاب "النكت"ندرك قيمة كتاب "الإنتصار" وما الذي علمه صاحب "النكت" في كتابه، من اختصار لما أسهب فيه وطال الباقلاني في "الإنتصار" فلطف حجم الكتاب مع توخيه طرق الصواب .فهل أعطى كتاب النكت صورة واضحة حقيقية عن كتاب "الإنتصار"؟ هذا أود بيانه في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

وكتاب "النكت" له أصل مخطوط بمكتبة بلدية الإسكندرية برقم 828 يقع في مئة وأربعين ورقة، وفيه صورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم (284 تفسير) كما يذكر محمد زغلزل بسلام في مقدمة للكتاب، ومنه نسخة مصورة على الميكروفيلم في مكتبة الجامعة الأردنية اطلعت عليها وهي مصورة بشكل رديء غير واضح، فيما طمس كثير، وصفحات غير واضحة، وبعضها بياض كامل، والقرآءة فيها عسيرة.

حقق الكتاب النكت الدكتور محمد زغلول سلام، استاذ اللغة العربية وعميد كلية الآداب بجامعة فيها بمصر،وقامت بنشره منشأة المعارف بالأسكندرية.

يقع الكتاب بعد الطبع في ثلاث مئة وسبعين صفحة من القطع الوسيط، ما عدا المقدمات والفهارس، جعله مصنفه ثمان وثلاثين بابا، رتبها على غير ترتيب أصل كتاب "الإنتصار" فقدم بعضها وأخر بعضها، وأتبها مختصرة عما عليه الأصل،ولم يأخذ منها الباقلاني الإ المادة العلمية دون سواها من الحجج المنطقية والمناظرات الكلامية(1).

(1)نفسه، ص35

وقدم المحقق للكتاب بمقدمة بين فيها نبذة عن حياة الباقلاني باختصار ثم تكلم عن منهج الباقلاني في التأليف، ودراسة لبيان القرآن وإعجازه وتطرق إلى نظريته في الإعجاز.

ثالثا : سبب جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس في صلاة التراويح على إمام واحد

روى مالك ابن أنس عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمان بن عبد الله القاري قال"خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في شهر رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي لصلاة الرهط، فقال عمر"إني لأرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل " ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت بعد ليلة أخرى والناس يصلون، فقال عمر بن الخطاب:" نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من الذين يقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله.

وذكر أصحاب التواريخ أن عمر بن الخطاب أمر بالقيام في شهر رمضان في المدينة، وكتب في البلدان في سنة أربع عشرة،ثم لم يزل كذلك طول سنينه وأيام فطره إلى أن مات رضوان الله عليه،ولم يزل الأمر كذلك إلى أيام عثمان وعلي والتلاوة تكثر، والحفظ يتسع والقرآن ينتشر، والإصغاء إليه يحصل من الصغير والكبير، والحاضر والبادي والقاصي، والداني، فلا يحفظ على أحد من الناس أنه قال في طول تلك الأيام إن القرآن مبدل ومغير ومزيد فيه ومنقوص منه ومرتب على غير سننه ووجهه الذي أنزل عليه، ولا يقدح بهذا على راع ولا رعية، ولا تابع ولا متبوع ولا يتناكر الناس شيئا مما يظهر بينهم منه، ولا يتحزن متحزن ولا يتأسف متأسف على ضياع شيء منه ولا يطعن طاعن، ولا يقدح قادح على تاليه ومقرئه وكاتبه وناسخه بتغير شيء منه، أو الزيادة فيه، أو النقصان منه(1).

(1) نفسه، 158

وكل هذا يدل دلالة بينة على تكذب من ادعى تغيير القرآن أو انقطاع نقله وخفاء أمره، وقلة حفاظه، وانصراف همم الناس ودواعيهم عن حفظه واحرازه، وأنه لو وقع فيه تغييرأو تبديل، أو زيادة أو نقصان أو مخالفة في الترتيب لسارع الناس إلى نقل ذلك والمذاكرة به والتذامر لأجله والإبداء والإعادة له، وفي فقد العلم بذلك دليل على بطلان ما يدعونه من هذا الباب.

فإن قال قائل"هذا الفصل من الكلام ومن فعل عمر وسيرته وإن كان شاهدا لكم على ما قلتم، وحجته لصحته ما اعتقدتم، فإنه من أوله إلى آخره طعن على عمر وقدح فيه، وغض في عمله وقدره لأنكم جميعا ستشهدون عليه بأنه أحدث في هذا الباب سند لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفعل ما لم يراه الرسول صوابا، وقدم رأيه لرأي النبي صلى الله عليه وسلم، واعتقد أنه قد استدرك من مصلحة الأمة وحسن الإحتياط لما ذهب على الرسول علمه، وكل هذا طعن على من اعتقده في نفسه وابدع في الدين ما لم يشرعه الله سبحانه ولم يسنه رسوله، فما العذر عندكم لعمر في هذا الباب وما لمخرج له منه؟.

فيقال لمن اعترض لهذا من أغبياء الرافضة و أوغاداها: ليس الأمر في هذا على ما توهمتم بل وصفناه: من فضائل عمر الشريفة وسننه الرضية الحميدة التي رضيها المسلمون، ونور بها مساجدهم، وقوى بها هممهم ودواعيهم على طاعة ربهم وحفظ كتابه،وأعظام دينه، وإقامة معالمه وكان ماصنعه من ذلك متبعا للرسول صلى الله عليه وسلم خاصا على ما حث عليه ودعا إليه ورغب فيه، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان صلى بالناس هذه الصلاة في شهر رمضان، جمعهم بها وقام بهم فيها، ثم ترك ذلك مع إيثاره له ورغبته فيه خوفا من فرضه على أمته، أو خوف متوهم من بعده أنها لمداومة الرسول عليها من اللوازم المفروضات، وأخبرهم بأنه إنما تركها لهذه العلة،لا لقبحها لكونها بدعة في الدين، ولاأجل أنها مفسدة للدين والمسلمين، ولا مما يجب أن يزهد وا فيه ويرغبوا عنه(1).

(1) نفسه، ص 159

وروى أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضوان الله عليها قالت " صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس في شهر رمضان في المسجد، ثم صلى الثانية واجتمع تلك الليلة أكثر من الأولى، فلما كانت الليلة الثالثة والرابعة إمتلأ المسجد حتى غض بأهله، فلم يخرج إليهم، فجعل الناس ينادونه الصلاة، فلم يخرج، فلما أصبح قال عمر بن الخطاب: مازال الناس ينتظرونك يارسول الله البارحة،قال أما إنه لم يخف علي أمرهم ولكني خشيت أن تكتب عليهم.

رابعا : فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وحفظه للقرآن

فأما أبو بكر الصديق صلوات الله عليه فقد وردت الأخبار المتظاهرة بدوام تقدمه في الصلوات وقراءته لطوال السور في المحراب التي لا يتهيأ إقامتها الإ الأهل القدر والإتقان والقوة في الحفظ، وكثرة الدرس والدربة بقراءة القرآن فروى هشام الدستوائي قال : حدثنا قتادة عن أنس "صلى بنا أبو بكر الصديق رضوان الله عليه صلاة الصبح فقرأ آل عمران، فقالواله:يا خليفة رسول الله كادت الشمس أن تطلع، فقال لو طلعت لم تجدنا غافلين وروى سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك: أنا أبا بكر رضي الله عليه قرأ في صلاة الصبح البقرة، فقال عمر كادت الشمس أن تطلع، فقال لو طلعت لم تجدنا غافلين(1).

وقد علم أن كثيرا من الحفاظ وأهل الدربة وإدمان درس القرآن يتهيبون الصلاة بالناس مثل هذه السور الطوال، وما هو دونها بالشيء الكثير،وهذا يقتضي أن أبا بكر كان حافظا للقرآن، وليس بين هذين الخبرين معارض، لأجل أنه ذكر في أحدهما صلاته بالبقرة، وفي الأخرى صلاته بآل عمران، ووقوع جواب واحد عن ذلك، لأنه لا يمكن أن يكون ذلك في وقتين وفي صلاتين ، وأن يكون جوابه لعمر قد وقع له ولغيره بلفظ واحد، وهذا غير مستنكر ولا بعيد.

(1) نفسه، ص 182

وقد تظاهرت الروايات بأن أبا بكر رضوان الله عليه بنى مسجد بمكه قبل الهجرة في فناء داره، وأنه كان يقوم بالقرآن فيه ويدعوا إلى الله وإلى رسوله ويشتري عرض رسول الله صلى الله عليه، ويزين صوته بالقرآن ويكثر بكاؤه ونشيجه، فإذا كان ذلك منه أسرع عوام المشركين ونساؤهم وولدانهم يسمعون قراءته و تسبيحه، حتى قالت عائشة رضوان الله عليها في خطبتها "أبي وما أبيه، أي والله لا تعطوه الأيدي، ذلك والله طود منيف، وظل مديد، صدق الله إذا كذبتم وسبق إذا وثبتم سبق الجواد إذا استولى إلى الأمد، فتى قريش ناشئا وكدلها كهلا، يكلاء عانيها، ويريش مملقها، يرأب صدعها، حتى خلبته قلوبها، ثم استشرى في دينه، فما برحت تلك شكيمته في ذات الله، حتى اتخذ بفنائه مسجدا، يحي به ما أمات المبطلون، وكان رحمة الله عليه غزير الدمعة، وقيد الجوارح، شجي النسيج، فأصفقت إليه نسوان قريش وولدانها، يسخرون منه ويستهزؤن به، الله سبحانه يستهزء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون، وأكبرت ذلك رجالات قريش، فحنت لها أفئدتها، وفوقت يمامها، وامتثلوه عرضا فما ملوا له صفاة ولا قصفوا له قناة.

خامسا: القول في تفسير اللغات والأوجه والقراءات التي قلنا إنها المعنية بقوله" أنزل القرآن على سبعة أحرف"

فإن قالوا: قد أوضحتم أن معنى الأحرف أنها أوجه ولغات وقراءات سبعة وأفسدتم ماعدا هذا التأويل، فخيرونا ما تلك الأوجه واللغات؟(1)

قيل لهم، أول ما نقول في جواب ما سألتم عنه أنه إذا صح ما قلناه أن معنى هذه الأحرف أنها أوجه ولغات وقراءات ومتغايرة، ولم يدلنا نص الرسول على أعيانها بأسرها وأجناس اختلافها وطرق اللغات فيها، ولم تتفق الأمة على ذلك فما علمنا في عصر من الأعصار اتفاقا بلغنا، وقامت الحجة به علينا ، ولم ينشر تفسير ذلك عن السلف

(1) نفسه، ص384

ولا عن إمام في هذا الباب ظهر قوله وعلم تسليم الأمة له صحة ما قاله، وفسره، وثبت أنه ليس في كتاب الله سبحانه حرف أو كلمة أوآية قرئت على سبعة أوجه فينصرف الخبر إليها، وجب أن نقول في الجملة إن القرآن منزل على سبعة أوجه من اللغات والإعراب وتغيير الأسماء والصور، وإن ذلك متفرق في كتاب الله تعالى ليس بموجود في حرف واحد وكلمة واحدة أو سورة واحدة تقطع على إجماع ذلك فيها، وإن لم يعرف أعيان تلك القراءات والأوجه واللغات،ويحيط بحقيقة أجناس تلك الضروب من الاختلاف، غير اننا نعلم انها سبعة اوجه موجودة في كتاب الله تعالى كما أخبر الرسول.

ولم يثبت لنا توقيف عنه تقوم به الحجة علينا في تعبير تلك الضروب من اللغات والقراءات فيخبر بتعيينه ويقطع على ذلك من أمره.

وإذا كان ذلك كذلك، وجب أن يكون اعتقاد هذه الجملة في معنى الأحرف السبعة من غير تفصيل وتعيين مقنعا كافيا، فسقط عنا بذلك تكلف تفسير هذه اللغات والأوجه السبعة، وهذا ابين في صحة الإعتماد على هذا الجواب ومع هذا فإننا لا ننكر أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين للصحابة أو العلماء منهم وجملة القرآن والعلم عنه عدد تلك اللغات والقراءات السبعة بأعيانهم ووقفهم على عددها وأجناسها، وعلى كل شيء منها أو الفرق بينه وبين غيره، وعلى موضعه الذي أنزل فيه دون غيره، وأوضح لهم ذلك إيضاحا قامت به الحجة على من ألقاه إليه، ثم لم ينقل ذلك إلينا نقلا تقوم به الحجة، إذا كان معرفة تلك اللغات والأوجه وتفاصيلها وتنزيلها ليس من فرائض ديننا، وكأن من قرأ بوجه منها أوبما تيسرر من ذلك أجزأه وكفاه عن غيره، فيكون العلم بعدد تلك الأجناس وتفضيل ذلك الإختلاف من فرائض من قامت الحجة به عليه وإن لم يكن ذلك من فرائضنا إذا لم يكن شاذا لها ناذرا تقوم به الحجة علينا وينقطع عند سماعه عذرنا(1).

(1) نفسه، ص385

ومع ذلك قد يمكن أن يقال إن السبعة الأحرف واللغات التي نزل بها القرآن بحضوره معروفة بما يقرب أن يكون هو المراد بالخبر ولا يبعد، وأن من هذه الأوجه الإختلاف في القراءآت بالتقديم والتأخير نحو قوله:﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ (1)

وقد قرئ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحَقِّ بِالمَوْت) وهذا اختلاف في التقديم والتاخير.

والوجه الثاني: أن يكون الإختلاف في القراءتين في الزيادة والنقصان مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾(2) بزيادة هاء، وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ (3) وقوله في موضع آخر ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾(4) بنقصان هو وقر أبعضهم﴿ يَا مَا لِ ﴾ موضع﴿ يَـمَـٰلِك ﴾ (5)بنقصان الكاف، ومنه أيضا قوله تعالى :﴿ عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾(6) و(نَاخِرَة) و(سِرَاجًا)و (سِرَجاً) ونحو ذلك، وروى أن بعض المتقدمين قرأ مع قوله: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾(7) قرئ (أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها)، وقرأ بعضهم أيضا بعد قوله﴿ إِنَّ هَـٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾(8) ، وزاد فقرأ (تِسْعَ وتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى) وهذا اختلاف لم يثبت وهو اختلاف القراء بالزيادة والنقصان، ويقول إن الرسول أقرأ بالتقديم تارة وبالتأخير تارة أخرى، وبالزيادة تارة وبالنقصان تارة أخرى ووقف على ذلك إذا ثبت هذا الباب في الإختلاف وأنه مروي عن الرسول عليه السلام.

(1) سورة ق الآية (19)
(2) سورة يس الآية (35)
(3) سورة الحديد الآية (24)
(4) سورة ابراهيم الآية (8)
(5) سورة الزخرف الآية (77)
(6) سورة النازعات الآية (11)
(7) سورة طه الآية (15)
(8) سورة ص الآية (23)

الوجه الثالث: أن يكون الإختلاف في القراءة اختلافا يزيد صورة اللفظ ومعناه، وذلك مثل قوله تعالى (وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ) مكان قوله﴿ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ (1).ونقول أيضا :ان هذا اذا ثبت فقد قرأ بهما الرسول عليه السلام، وأنزل عليه كذلك، وقد روي عن بعض السلف أنه قال: معنى ال طَّلْع والطَّلْح واحد، وأنهما إسمان لشيء واحد فإن كان ذلك كذلك فهما بمنزلة العهن والصوف والأثيم والفاجر، فيكون مما تختلف صورته في النطق ولا يختلف معناه.

وقال الجمهور من الناس غير هذا، فزعم بعض أهل التفسير أن الطلح هو زينة أهل الجنة، وأنه ليس من الطلع في شيء، وقال كثير منهم إن الطلح هو الموز، وقال آخرون إن الطلح هو الشجر العظام الذي يظل ويعرش وإن قريشا واهل مكة كان يعجبهم طلحات وج وهو واد بالطائف — لعظمها وحسنها، فأخبروا عن وجه الترغيب في الجنة طلحا منضودا يراد به متزاحم على وجه التشبيه له بالشجرة العظيمة المستحسنة وإن كان ذلك كذلك ثبت أن الطلع والطلح إذا قرئ به كان مما يختلف صوره ومعناه.

الوجه الرابع: أن يكون الإختلاف في القراءتين اختلافا في حروف الكلمة بما يغير من معناها ولفظها من السماع، ولا يغير صورتها في الكتاب، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾(2) ﴿ نُنشِزُهَا ﴾بالإعجام و الإنتشار الإتيان والزيادة والإنشار والإنشاء والإحياء بعد الممات، وقد أنزل القرآن كذلك لأنها منشأة مبدعة ومنشور ومحياة بعد ممات فأريد إيداع المعنيين في القراءتين.

الوجه الخامس: أن يكون الإختلاف بين القراءتين اختلافا في بناء الكلمة وصورتها بما لا يزيلها في الكتاب ولا يتغير معناها، نحو قوله تعالى﴿ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ / (وَهَلۡ يُجَازَىٰٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ)(3) وصورة ذلك في الكتاب واحدة، وقوله تعالى:

(1) سورة الواقعة الأية (29)
(2) سورة البقرة (259)
(3) سورة سبأ الآية 17

﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾(1) بالضمة، و﴿بالبخل﴾بالفتح و (مَيْسَرَة)و﴿مَيْسُرَة﴾بالنصب والضم، ﴿ و يَعۡكُفُون ﴾ (2).و(يَعْكِفُون) بالرفع والكسرة، والصورة واحدة وأمثال ذلك، ومنه أيضا قوله:﴿وَفُومِهَا﴾ (3)أو وأمثال ذلك كثير.

والوجه السادس: أن يكون الإختلاف بين القراءتين بما يغير صورتها ولا يغير معناها 1، نحو قوله تعالى:﴿ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥ (4) ، و(كالصُّوف المَنْفُوش) و﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ (5) (وإنْ هِيَ الاَّ زَعْقَةٍ واحِدَة) و﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ۝٤٤ (6)و(طَعَامُ الفَاجِرِ)، ومنه قوله: ﴿ وَفُومِهَا﴾ (ثَوْمِهَا) وأمثال هذا مما لا تختلف به صور الأسماء و حروفها، وإن لم يختلف معناها، وهذا مما أنزله الله تعالى، لأن في العرب من يثقل عليه مفارقة طبعه ونمط كلامه، وأن يقول صوف مكان عهن وزعقه مكان صيحة، فأنزل القرآءتين واطلقهما رخصة وتخفيفا عن عباده مع حصول السلامة والإستقامة وإرادة الرخصة لهم وتخليهم وطباعهم وعادتهم وسجية أنفسهم في الكلام.

الوجه السابع:أن يكون الإختلاف بين القراءتين للإختلاف في الاعراب الكلمة وحركة بناءها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ونحو قوله تعالى :﴿ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾ (7)،على طريق الخبر و﴿ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾ ، (رَبَّناَ بعد بَيْنَ أسْفَارِناَ)بفتح العين وكسرها، وقوله: و ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾(8) و(بَعْدَ أُمَّةٍ) ومعنى أمة حين، وأمة معناها النسيان

(1) سورة النساء الآية (37)
(2) سورة الأعراف الآية (138)
(3) سورة البقرة الآية (61)
(4) سورة القارعة الآية (5)
(5) سورة يس الآية (29)
(6) سورة الدخان الآية (43-44)
(7) سورة سبأ الآية (19)
(8) سورة يوسف الآية (45)

،وذلك صحيح لأنه ادكر بعد حين، وبعد أن نسي أيضا، فضم الله تعالى المعنيين في القراءتين وقوله تعالى﴿ رَبَّنَا بَـعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾(1) بكسر العين، معناه، الطلب والمسألة من أهل سبأ أن يفرقهم الله ويباعد بين أسفارهم، وقد كانوا سألوا ذلك، ومنه أيضا: ، ﴿ و يَعْكُفُون ﴾ (2)و يعكفون بالضم والكسر، والصورة في الكتاب واحدة فحكى سبحانه السؤال والطلب عنهم في قوله ﴿ بَـعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ للإخبار عنهم بأنهم قد بوعد بين أسفارهم، وقد كان من أهل سبأ أمران /لأنهم سألوا الله سبحانه أن يفرقهم ويباعد بين أسفارهم فحكى ذلك عنهم ، فلما فعل ذلك بهم وأجابهم إلى مسألتهم، أخبروا عن أنفسهم بأن الله أجابهم وباعد بين أسفارهم، فحكى الله تعالى ذلك عنهم.

وكذلك قولهﷺ﴿ لَقَد عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾(3) لأن فرعون قال لموسى مخبرا عن نفسه: إنَّ ما أتيت الإ بآيات وبصائر، وقال أيضا لفرعون مرة أخرى: لقد علمت أنت أيضا أن ما جئت به بصائر وآيات ليست بسحر، فحكى الله تعالى، الأمرين جميعا، وهما صحيحان يأتيان غير متضادين ولا متنافيين، وكذلك كل ما ورد من هذا الضرب.

فهذا الذي ذكرناه والله أعلم هو تفسير السبعة الأحرف دون جميع ماقدمنا ذكره، وقد أخبرنا فيماسلف أنه لا يجب علينا الإخبار عن عدد اللغات والأوجه السبعة، وذكر أجناس الإختلاف بينها وضروبه إذا لم يكن عندنا توقيف في ذلك، وهذه جملة كافية في هذا الباب إن شاء الله. فإن قالوا: فإذا قلتم إن الحروف المنزلة إنما هي قراءات وأوجه مختلفة بإعراب مختلف كالضم والفتح والكسر، أو إمالة وترك إمالة، أو إذغام وترك إذغام،أو قلب حرف إلى حرف، أو تقديم أو تأخير وزيادة حرف في الكلمة أو نقصان حرف منها، لا غير ذلك، فكيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه والحركات والإعراب المختلف وقلب

(1) سورة سبأ الآية (19)
(2) سورة الأعراف الآية (138)
(3) سورة الإسراء الآية (102)

الحرف إلى غيره حرفا، والإعراب الذي هو الضم والفتح ليس بحرف، وإمالة الحرف ليس بحرف وقلب الحرف إلى غيره ليس بحرف، وإبدال الإسم بحرف وتقديم الكلمة على كلمة أخرى، وجميع ما قلتموه في هذه القراءات ليس بحرف لأن نقصان الحرف ليس بحرف، وزيادة الحرف في الكلمة لا يصير الكلمة بأسرها حرفا، فما وجه تسمية هذه الوجوه في القراءات حرفا؟

يقال لهم: قد نبهنا على جواب هذا فما سلف، وذلك أنه قد ثبت أن العرب تسمي الشيء باسم ماهو منه وما قارنه وجاوره وكان سبب منه وتعلق به ضربا من التعلق وتسمى الكلمة باسم البعض منها، وتسمى القصيدة والخطية والرسالة كلمة، وتسمى الكلمة التامة حرفا فنقول (ألم) حرفا ما قلناه من قبل وإذا كان ذلك كذلك جاز أن يسمي النبي صلى الله عليه وسلم الكلمة التامة والقراءات الطويلة حرفا على تأويل أن منها وفيها حرفا يغير كلمة وحالة في القراءة، فيقرأ مرة بالفتح ومرة بالضم، أو أن سبب هذه القراءة حرفا يثبت تارة فيها وتارة ينقص، أو أن منها حرفا مرة يقرأ على ما هو به ومرة يقلب به إلى غيره ويبدل بسواه، أو أن منها حروفا تقدم في القراءة، ومرة تؤخر، وتسمى الحروف حروفا وتزيد به جنس الحروف(1).

وإذا كان بينا جاريا في استعمال العرب وجب صحة ماروي واتفق عليه من قولهم: هذا يقرأ من حرف عبد الله بكذا، ومن حرف أبي بكذا ومن حرف زيد بكذا، فتنسب الكلمة والقراءة إلى الحرف الذي فيها، فبطل تعجب من ظن بعد هذا أو استهجانه في اللغة.ويجوز أيضا أن يقال إنه صلى الله عليه وسلم سمى الكلمة والقراءة حرفا مجازا، وإتساعا واختصارا، كما سميت القصيدة كلمة، كذلك الرسالة والخطية على ما بيناه من قبل.

(1) محمد بن عبد العزيز الخضيري،المناظرة العجيبة، وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم، ص390

ويجوز أيضا أن يكون إنما سمى جميع هذه الوجوه واللغات المختلفة والقراءة المتغايرة حرفا على تأويل أن كل شيء منها طريقة وسبيل على حدتها غير الطريقة الأخرى، كما قال سبحانه :﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ (1) أي على سبيل وطريق ، وإن تغيرت عليه تغير عن عبادته وشكره على ما حسب ما شرحناه من قبل وإذا كان ذلك كذلك وسقط قوله إن الإعراب في الإمالة لا يسمى حرفا، لأن الحرف ها هنا على هذا التأويل، ليس المراد به الصور من الخط الممثل، وإنما هي الطريقة والوجه والسبيل فقط.

وليس في جميع القراءات المنزلة التي يسوغ الإختلاف فيها وصوب القارؤن لسائرها ما يتضاد معناه وينفي بعضه بعضا وإنما فيه مختلف / اللفظ والإعراب والبناء وإن كان معناه واحد ومختلف الصورة واللفظ والإعراب والبناء لتضمنه معاني مختلفة غير متضادة ولا متنافية مثل قولهم :﴿ بَـٰعِدَ ﴾(2) بكسر العين و (بَاعَد) بفتحها على الخبر، وأمثال ذلك مما يختلف ولا يتضاد، وإنما المحال المنكر أن يكون فيه قراءات متناقضة متضادة المعاني، والله تعالى عن إنزال ذلك وتصويب جميع القراءة به.

وقال قوم من الناس، إن تأويل السبعة أوجه هو أن الإختلاف الواقع في القرآن بجميعه، ويحيط به سبعة أوجه منها وجه يكون بتغيير اللفظ نفسه، والوجوه الستة تكون بأن تثبت اللفظ في جنسها وتغيير من قبل واحد منها، فإن الستة الباقية تكون في الجمع والتوحيد والتذكير والتأنيث والتصريف والإعراب واختلاف الأدوات واختلاف اللغات.

قالوا، والوجه الأول من السبعة الذي هو تغير اللفظ في نفسه وإحالته إلى لفظ آخر: هو كقوله: ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾ (3) وننشزها بالزاي المعجمة، وما جرى مجرى ذلك.

(1) سورة الحج الآية (11)
(2) سورة سبأ الآية (19)
(3) سورة البقرة الآية (259)

والوجه الأول من الستة، الجمع والتوحيد كقوله ﴿ وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾(1) ، (وكتابه) وكقوله﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِ﴾ (2) (وللكتاب)

والوجه الثاني: التذكير والتأنيث نحو قوله : ﴿صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ (3) بالنون ولتحصنكم بالتاء المعجمة من فوقها.

والوجه الثالث، هو التصريف كقوله:﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾(4) بكسر النون ويقنط بنصبه .

والوجه الرابع: الإعراب كقوله ﴿ ذُو ٱلۡمَجِيدُ ٱلۡعَرۡشِ ﴿١٥﴾ (5) بكسر الذال والمجيد برفعها وأمثال ذلك.

والوجه الخامس: اختلاف الأدوات كقوله تعالى ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ (6) بتشديد لكن وبتحقيقها إذا قلت لكن مخففا، وقوله ﴿ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾(7) بالتخفيف ولما بالتشديد إلى أمثال ذلك.

(1) سورة التحريم الآية(12)
(2) سورة الأنبياءالآية(104)
(3) سورة الأنبياء الآية(80)
(4) سورة الحجر الآية (56)
(5) سورة البروج الآية(15)
(6) سورة البقرة الآية(102)
(7) سورة الطارق الآية(04)

والوجه السادس: اختلاف اللغات كقول ﴿وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ﴾ (1) والصابون بالهمزة واسقاطها وقوله ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾(2) / بالإمالة والتفخيم، فهذه سبعة أوجه كلها منزلة وسائغة جائزة.

وفي بعض ما ذكر من تأؤيل هذه الرواية ما يوضح الحق، ويمنع أهل التأمل والإستبصار من التورط والشبهات والأحوال بتعلل أهل الزيغ والضلال وبالله التوفيق والتسديد والعضمة والتأييد.

سادسا : ذكر اختلافهم في عدد الآيات وتقديرها ومعنى وصفها بأنها آية

فإن قالوا: كيف سوغ لكم أن تدعوا ظهور نقل القرآن وإذاعة الرسول شأنه وإشاعته وإقامة الحجة على المكلفين به ونحن نجدهم يختلفون في قدر الآية، فيعد بعضهم قدرا من الكلام آية وينكر ذلك غيره، ويعد بعضهم السورة منه آية مثلا ويعدها غيره أكثر من ذلك/ وأقل، وما ذكروه من ظهور توفيق النبي صلى الله عليه وسلم على بيان القرآن وكشف ترتيبه وتأليفه وأحكامه الواجبة له في حفظه وتلاوته، وإحصاء آياته، فوجب علم جميعهم بذلك، وارتفاع النزاع بينهم فيه.

يقال لهم: ليس فيما وصفتموه قدح فيما قلنا ولا توهين لما أدعيناه وبيناه، وذلك أننا إنما إدعيناه وجوب ظهور نقل ما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمة حفظه وحظر عليهم الذهاب عنه، وألزمه الله تعالى إشاعته وإذاعته لتقوم الحجة به، وعرفت عادته عليه السلام من إظهار البيان وشدة القصد والإيثار له للكشف والإعلان به وإذا كان ذلك كذلك وكنا لا نقول من هذا الباب عدد آيات سور القرآن وقدر ما هو آية من الكلام، بل نقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحد في عدد آيات السور حدا، ولا وقفهم عليه في ذلك على شيء ولا كان هو صلى الله عليه يعد ذلك وإن جاز أن يكونوا هم قد كانوا يعدون في عصره وعند القراءة عليه لأنفسهم.

(1) سورة المائدة الآية (69)

(2) سورة الشمس الآية (01)

فلا ينكر ذلك عليهم، بل يخليهم وما عدوا إذا لم ينقصوا من السورة، ولم يزيدوا فيها شيئا، ولا غيروا من تأليف آياتها أمرا، ولا قدموا مؤخرا ولا أخروا مقدما، وإذا كان ذلك كذلك لم يلزمنا شيء مما قلتم، لأنه لا نص من الرسول على عدد الآي ومقاديرها

فإن قالوا: وما الدليل على ذلك؟

قيل لهم: من الأدلة عليه علمنا بأنه لو كان صلى الله عليه قد نص لهم على عدد الآي وقدر الكلام الذي يكون آية، ومواضيع الفصول من السور، وظيق عليهم معرفة ذلك وجعله من فرائض دينهم، وحد لهم فيه حدا أخذهم به وحده ومنعهم من تجاوزه أوجب أن يكون بيانه لذلك كبيانة لتأليف آيات كل سورة، وكبيانه للقرآن نفسه، ولو وجب في مستقر العادة ظهور ذلك عنه، وتوفر الدواعي والهمم على ضبطه وذكره وحراسته وتقييده عنه، كما وجب عليهم بتأليف آيات كل سورة، وبالقرآن نفسه ولا تفع الخلاف عليهم في ذلك والنزاع، ولما لم يظهر ذلك ولم نجد أنفسنا عالمة بهذه الجملة من توقيف الرسول ودينه كما نجدها عالمة بتو قيفه على نزول جميع القرآن من عند ربه وعلى تأليف آيات السور وكلماتها، علما أنه لا نص كان منه على هذا الباب، ولا قول ظهر منه في ذلك ولا أمر يجب حفظه وإذاعته ولزم القلوب العلم به(1).

مما يقوي ذلك ويشهد له أن ثبت أنه قد وردت بهذه الرواية فروى يحي بن سعيد الأموي عن الأعمش عن.... عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال : تمارينا في سورة من القرآن فقال بعضنا خمس وثلاثون، وقال بعض ست وثلاثون، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير لونه، وأسر إلى علي عليه السلام شيئا فسألنا عليا: ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله يأمركم أن تقرؤوا القرآن كما علمتموه.

(1) محمد بن عبد العزيز الخضيري،المناضرة العجيبة، وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم، ص227

وهذا الخبر يدل على أنه لم يأمرهم بعد الآي بل نهاهم عنه إذ ذاك أو أطلقه لهم ووكله إلى أرائهم وما يؤديهم الإجتهاد إلى أنه فصل وموضع آخر الآية، ليستعينوا بذلك على الحفظ ويقيدوه، ويدل أيضا على أنهم كانوا يعدون عدا مختلفا.

فإن قالوا: فهل تقطعون بهذا الخبر على أن القوم كانوا يعدون في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أم لا؟

قيل: لا لأنه من أخبار الآحاد التي لا توجب علما.

فإن قيل: أفتجوزون أن يكونوا قد كانوا يعدون إذ ذاك.

قيل لهم يجوز ذلك.

فإن قيل لهم فهل تجوزون أن يكون عددهم لآيات السور وقدر الآيات متفقا أو أن يكون ذلك مختلفا؟

قيل لهم أجل يجوز أن يكونوا قد عدوه في عصره صلى الله عليه وسلم عدد متفقا غير مختلف، غير أنهم عدوا ذلك لأنفسهم، استعانة به على الحفظ وضبط السور من غير أن ينص لهم الرسول على ذلك، فلذلك لم ينقل عنه شيء في هذا الباب، فلما انقرض ذلك العصر قيل: لا لأنه من أخبار الآحاد التي لا توجب علما.

قيل لهم أجل يجوز أن يكونوا قد عدوه في عصره صلى الله عليه وسلم عدد متفقا غير مختلف، غير أنهم عدوا ذلك لأنفسهم، استعانة به على الحفظ وضبط السور من غير أن ينص لهم الرسول على ذلك، فلذلك لم ينقل عنه شيء في هذا الباب (1)، فلما انقرض ذلك العصر ولم ينقل ذلك العدد عنهم لأنه لم يكن من فرائض دينهم ولا مما نص لهم رسول الله وأخذهم

(1) نفسه، ص228

به: ذهب على من بعدهم العدد/ الذي كانوا اتفقوا عليه في زمن الرسول، والناس من بعدهم يعدون ذلك لأنفسهم، وبحسب ما أداهم الإجتهاد إليه.

فإذا قال قائل: فهل تقولون: الآية التي تختلف الناس في عددها لابد أن يكون عند الله وفي معلومة تعالى على ما يقوله أحد العادين لها أم ليس الامر كذلك.

فإن قيل: أفتجوزون أن يكونوا قد كانوا يعدون إذ ذاك.

قيل لهم يجوز ذلك.

فإن قيل لهم فهل تجوزون أن يكون عددهم لآيات السور وقدر الآيات متفقا أو أن يكون ذلك مختلفا؟

يقال لهم: قد اختلف الناس في ذلك، فقال فريق منهم إن الآية عند أهل العدد وفي مواضيعهم لما سميت آية لأنها علامة للفصل بين الكلاميين، وأن الله سبحانه جعل ذلك كذلك ليستعين الناس بما يظنونه فصلا موضع آية على تقييد السور وحفظا وضبطا، فإذا أفقدهم مع ذلك النص منه على الفصول ولم يجد لهم في ذلك حدا فقد عرفنا أنه إنما وكل هذه التسمية إلى آرائهم واجتهادهم وما يظنه كل قارىء منهم أنه موضع علامة وفصل وأنه يجب على هذا أن يرجع في حصول هذه التسمية إلى ما يصنعه القراء ويغلب على ظنونهم من مواضع الفصول.لأن قولنا حينئذ إنه لا يفيد حقيقة هي علته وصفه لازمة لها، وقدر من الأحرف والكلمات لا يجوز الزيادة عليه والنقصان منه، بل هو مقصور على اجتهاد القراء، فهو في الباب بمثابة تسمية الشيء حراما على قول بعض الفقهاء إذا أداه اجتهاده إلى أنه حرام، وتسمية الآخر حلالا إذا أداه الرأي أنه حلالا إذا كان هذا هو حكم الله تعالى في تسمية الأفعال والحوادث

(1) نفسه، ص231

التي لا نص له فيها ولا حكم سوى ما أدى إليه اجتهاد العلماء، والحادثة مستحقة للاسمين في الحقيقة على القولين وفي المذهبين، فكذلك الآية مستحقة للتسمية بأنها آية على الحقيقة عند من أداه اجتهاده إلى أنه موضع الفصل وغير مستحقة لذلك في الحقيقة على قول من لم يؤده الإجتهاد إلى ذلك وهذا القول قريب لا دخل عليه وقال فريق آخر من الناس:إن الآية إنما سميت آية لانفصالها عن الآية الآخرى، أنها في القرآن بمثابة البيت من القصيدة والقوافي في الشعر، أنه لا يتميز كتميز القوافي في موضع الروي من الشعر، لأن الآية ليست منفصلة عن الأ خرى بمثل القافية والروي من الشعر، لذلك اختلف في قدر كبير من الآيات، وإنما تنفصل الآية من الآية الأخرى بقصد المتكلم بالقرآن إلى فصل ذلك القدر منه مما بعده وقطعه عنه، وإذا لم يقصد ذلك ولم تكن آية ولا موضع الفصل، وقصده إلى ذلك لا يتبين ويظهر للحس.

ولكن لو جعل عليه علامة من الكتابة عند رسمه لعرف ذلك من حاله، كنحو ما يجعله الكاتب في كتابته في البياض ومد الأحرف في مواضع الفصول، وإن كان من لم يشاهد ذلك ولا يعرف قصده إلى الفصل إذا أمكن أن يكون بعض الكلام متعلقا ببعض(1).

واذا كان ذلك كذلك فلابد على هذا من أن يكون الله تعالى قد قصد إلى قطع الكلام عما بعده، وإفراده عنه، فيكون ذلك موضع آية عنده، وفي معلومة، وأن لا يكون قصد ذلك، فلا يكون موضع آية غير أنه لم ينص للعباد على ذلك ولا كلفهم إياه ولا أمر الرسول بجد فيه، فهو إذن بمثابة قول القائل: أي شيء يحسن زيد، وقوله: سلام عليكم الذي يصح أن يقصد الإستفهام عما يحسنه أو التقليل له أو التفخيم والتعظيم.

(1) نفسه، ص232

ويصح أن يقصد بقوله، سلام عليكم الهزل والإستجهال ويصح أن يريد التحية والإكرام، فيصير مرة تحية، واستفهاما بالقصد، ويصير الكلامان تارة وأخرى تقليلا واستهجالا بالقصد إلى ذلك.

وإنما يكون القصد بهذا ضرب المثل لما يصير الشيء به مستحقا للوصف بالقصد، وإذا لم يكن هذا المثل مستمرا في نفس الكلام القائم في النفس عندنا، لأن الإستفهام منه استفهام لنفسه لا لمعنى وكذلك الأمر به والنهي والخبر وجميع أقسامه، غير أن هذه الأصوات التي هي عبارة عنه عندنا تسمى استفهاما إذا قصد به التعبير عن إستفهام في النفس لدلالتها على الإستفهام وتسمى تارة أخرى تقليلا لما يحسنه المذكور للقصد بها إلى التعبير عن التقليل الذي في النفس لدلالتها عليه.

وهذا الجواب الثاني أيضا قريب مستمر لا دخل فيه وقد بينا أن في الجملة ليس من فرائض الدين ولا مما نص الرسول عليه السلام، فضلا عن أن يكون نصه عليه مستفيضا متواترا يقتضي حصول العلم به وارتفاع النزاع فيه، وهذا الذي حاولوه، قد أوضحنا عن فساده بما أبطل ما حاولوه(1).

فأما تسمية الآية بأنها آية على طريقة أهل اللغة فإنما تفيد أنها علامة، وعلى هذا المعنى سميت الآية من القرآن آية، لأنها علامة على موضع الفصل.

قال النابغة الذبياني: توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وإذا العام السابع فسمى ما عرفها به آية، وقولهم في آيات الرسل إنها آيات لما يعنون بها أنها دلالة على صدقهم والفصل بينهم وبين الكذابين وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ (2).

يقول: علامة ملكه ما ذكره، وقولهم أي وآيات إنما هو اسم الجمع.

1. نفسه، ص 233
2. سورة البقرة الآية 248

الحمد لله بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم الله به الرسالات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن أتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد، فإننا بعد أن انتهينا من إنجاز هذا الجهد المبارك.

نحمد الله على ما وفقنا إليه من استكمال هذا العمل العلمي الذي تناولنا فيه جوانب مهمة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. التعرف على شخصية الإمام أبي بكر الباقلاني.
2. التطرق لأهم مؤلفاته والتركيز على كتاب الإنتصار للقرآن كأنموذج.
3. ذكر أهم الاسباب التي أدت لتاليف الكتاب.

كما يعد الإمام الباقلاني من الشخصيات العظيمة التي دافعت عن القرآن، ويظهر ذلك جليا في كتابه الإنتصار للقرآن وهناك عدة أسباب أدت به إلى تأليف كتاب الإنتصار للقرآن، ونذكر على حساب المثال لا الحصر وهو ظهور فرق في عصر المؤلف كان مهمتها الطعن في القرآن والتشكيك فيه وفي صحته.

بعد الوقوف على بعض الجوانب المهمة من حياة وشخصية الإمام القاضي أبي بكر الطيب الباقلاني، ودراسة أنموذج نكت الإنتصار للباقلاني من خلال هذا البحث المتواضع، فإن أهم ما أوصي به هو إكمال هذه الدراسة، ذلك لأن موضوع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم هو موضوع مهم وشاسع يسع لطلبتنا وخصوصا الطلبة الذين لهم ميل مهم ورغبة في دراسة جانب من جوانب علوم القرآن هذا من جهة ومن جهة أخرى فالإعجاز العلمي في القرآن الكريم هو علم نافع وممتع، ويمكن تناول العديد من أشكاله ودراسته في أكثر من مجال كالإعجاز العلمي في الصحة النفسية والصيام إلخ....

ومما لا ينبغي إغفاله كذلك في هذا المقام عدم الحكم على هذه الدراسة، بأنها تمثل مجمل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فهي ثمرة فكر وجهد بشري قابل للصحة والخطا.

هذا ما وفقنا الله تعالى لدراسة في هذا البحث، فما كان فيه من الصواب فمن الله عز وجل وما ك ان فيه من خلل أو خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله تعالى أن يقبل عثرتي وأن يعفو زلتي، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، إنه ولي ذلك والقادر عليه والله تعالى أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة الكتب:

1. أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي،ط،1969
2. ابن منظور، لسان العرب، دارللسان العربي، بيروت، لبنان،ج2.
3. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق أحمد بن علي، دار الحديث،ج،2004
4. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من الأعراب و المستعربين والمستشرقين، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين.
5. فضيل حسن، إعجاز القرآن،جامعة القدس المفتوحة، فلسطين ،ط. 2، 1997.
6. القاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلاني، الإنتصار للقرآن، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط.1
7. القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، الإنتصار للقرآن، تح محمد السيد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1
8. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن،تح صفوان عدنان داوودي،ط4،دار القلم للنشر، دمشق، سوريا،2009
9. زغلول راغب محمد النجار، مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ط. 1، 2009، دار المعرفة، بيروت لبنان
10. الزمخشري، أساس البلاغة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان،د ت
11. عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، دراسة نظرية للإعجاز في الآيات المحكمات، دار المعارف للإنتاج والتوزيع،بوفاريك ،البليدة،ج1.
12. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، دارالفكر للنشر والتوزيع، 1998
13. لدية نصاح، وفريدة شوداني، سر الإعجاز القرآني لأحمد القبانجي- دراسة نقدية- جامعة البويرة، 2016

14. محمد بن عبد العزيز الخضيري،المناضرة العجيبة، وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم، دار الوطن للنشر، رياض،السعودية،ط. 1 2000
15. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1995،ط.1
16. محمد حيدر ، مساهمات الإمام الباقلاني في مقارنة الأديان مع التركيز الخاص على مناظراته مع النصارى،جامعة الهدى الإسلامية ، الهند، 2018
17. محمد رمضان عبد الله، الباقلاني و آراؤه الكلامية، مطبعة الامة، بغداد، العراق، 1976،ط.1
18. محمد علي صابوني، البيان في علوم القرآن،دار شهاب.
19. مصطفى صادق الرافعي، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية تاريخ آداب العرب، دارالكتاب العربي،ج2
20. نعيم الحمصي، فكرة اعجاز القرآن الكريم منذ البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر،ط.2، مؤسسة الرسالة ،1980

قائمة المذكرات:

1.سميرة عقيل، الباقلاني حياته وأثاره، جامعة قديس يوسف،بيروت، لبنان، 1980.
2.حياة كتاب،مخطوطات العربية الإسلامية هوية وتراث، جامعة المسيلة، الجزائر.

الفهرس: **الصفحة**

إهداء

تشكرات

مقدّمة.....أ

المدخل : تعريف الإعجاز لغة واصطلاحا.....06

الفصل الأول: حياة وشخصية الإمام القاضي أبي بكر الباقلاني

المبحث الاول: التعريف بالإمام القاضي الباقلاني.....16

المبحث الثاني: شيوخه.....18

المبحث الثالث: تلاميذته.....19

المبحث الرابع: مؤلفاته.....20

المبحث الخامس:مذهبه وعقيدته.....23

المبحث السادس: وفاته.....24

الفصل الثاني: التعريف بكتاب الإنتصار للقرآن

المبحث الأول: كتاب الإنتصار للقرآن..... 26

المبحث الثاني: موازنة بين كتاب الإنتصار للقرآن وكتاب نكت الإنتصار وسبب تأليف كتاب الإنتصار.....29

المبحث الثالث: سبب جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس في صلاة التراويح على إمام واحد.....31

المبحث الرابع: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه وحفضه للقرآن.....33

المبحث الخامس: القول في تفسير اللغات والأوجه والقراءات التي قلنا إنها المعنية بقوله" أنزل القرآن على سبعة أحرف" 34

المبحث السادس: ذكر اختلافهم في عدد الآيات وتقديرها ومعنى وصفها بأنها آية.....43

الخاتمة:.....49

التوصيات.....50

قائمة المراجع:..... 51

الفهرس:.....54

الملخص باللغة العربية :

الإمام والقاضي الباقلاني من الأعلام والشخصيات التي افنت حياتها في خدمة القرآن، كما أن هذا الأخير لم يكتف بكتابة وتاليف الكتب التي لها صلة بالقرآن بل ذهب إلى ابعد من ذلك فقد أقام مناظرات مع أولئك الملاحدة وأهل الظلال وانتصر عليهم بالحجج والأدلة المنطقية.

فالإمام الباقلاني دافع عن القرآن وعلومه لأنه كانت له غيرة عليهن وهو ماأدى إلى تأليف الكتب التي لها صلة بالقرآن.

فقد ترك عدة كتب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: نكت الإنتصار ـ الإنتصار للقرآن ـ كما تناول الإنتصار للقرآن مسائل هامة والتي لها صلة بالقرآن.

Résumé:

L’imam et juge des Baqalani des drapeaux et des personnalités qui ont passé leur vie au service du Coran, et ce dernier non seulement a écrit et écrit des livres liés au Coran, mais est allé plus loin, il a tenu des débats avec ces athées et le peuple de l’ombre et a triomphé sur eux avec des arguments et des preuves logiques.

L’imam Baqalani a défendu le Coran et ses sciences parce qu’il avait une aversion sur eux, ce qui a conduit à l’écriture de livres liés au Coran.

Il laissa plusieurs livres, y compris, mais sans s’y limiter: les blagues triomphales du Coran, ainsi que la victoire du Coran, qui traitait de questions importantes liées au Coran.

Summary:

The imam and judge of the Baqalani of the flags and personalities who spent their lives in the service of the Qur'an, and the latter not only wrote and wrote books related to the Qur'an, but went further, he held debates with those atheists and the people of the shadows and triumphed over them with arguments and logical evidence.

Imam Baqalani defended the Qur'an and its sciences because it had a dislike on them, which led to the writing of books related to the Qur'an.

He left several books, including but not limited to: the triumphal jokes of the Qur'an, as well as the victory of the Qur'an, which dealt with important issues related to the Qur'an.